٧١

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وقوله
تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله وقد ذكر الشيخ أبو معين النسفي أطلع هنا
العرش في التمهيد له من أن المحققين قرروا أن رفع الأيدي إلى السماء في حال الدعاء
تعبد محض قال الشارح العلامة الغشاني هذا جواب عما تمسك به غلاة الروافض
واليهود والكرامية وجميع المجسمة في أن الله تعالى على العرش هنا وقيل أن العرش
جعل قبلة للقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة للأبدان في حال الصلاة
وقد سبق أن هذا مما لا وجه له فإنه مأمور باستقبال القبلة في حال الدعاء
ورفع الأيدي إلى السماء وبعدم رفع الوجه إلى الجهة العليا فلا وجه لما قدمناه
مع أن التوجه الحقيقي إنما يكون بالقلب إلى خالق السماء نعم نكتة رفع
الأيدي إلى السماء أنها خزائن أرزاق العباد كما قال تعالى وفي السماء رزقكم مع أن
الإنسان مجبول على الميل إلى التوجه إلى جهة يتوقع منها حصول مقصوده
كالسلطان إذا وعد العسكر بالأرزاق فإنهم يميلون إلى التوجه صوب الخزينة
وإن تيقنوا أن السلطان ليس فيها ثم حجة إبراهيم عليه السلام أفضل بعد نبينا عليه
الصلاة والسلام وهي الصحيح حتى البرية إبراهيم يخص منه نبينا بقوله عليه
الصلاة والسلام على ما رواه الترمذي أن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله
فبقي الباقي على عمومه **واعلم** أن الخلة كمال المحبة وأنكر الجهمية حقيقة
المحبة من الجانبين زعما منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب
وإنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة وكان أول من ابتدع هذا في
الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبد الله القسري
أمير العراق والمشرق بواسط خطب الناس يوم الأضحى فقال أيها الناس ضحوا
يقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ
إبراهيم خليلا ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء الدين
والمعتقد أن محبة الله وخلته كما تليق به كسائر صفاته ونقل بعضهم الإجماع
على أنه ثم نوح وموسى وعيسى أفضل من سائر الأنبياء والخمسة هم أولو العزم
من الرسل عند جمهور العلماء وقد جمعهم الله تعالى في موضعين من كتابه حيث قال

شرع

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم
وموسى وعيسى فبدأ بنوح لأنه أول المرسلين ثم بنبينا لأنه خاتم النبيين ثم ذكر
ما بينهما من الثلاثة والظاهر أن نوحا أفضل ثم موسى ثم عيسى لما سبق من تخصيص
إبراهيم الخليل **وقال** بعض مشايخنا الحنابلة الشيوخ لم أقف على نقل في
الثلاثة أفضل انتهى وقال تعالى في موضع آخر وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بين نبينا الأربعة وقد وجه
تقدم نبينا لتقدم رتبته في عالم الشهود ثم إنه صلى الله عليه وسلم مبعوث
إلى كافة الأنام كما بينه في غير هذا المقام ومن جملة الأدلة قوله تعالى تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله سبحانه ومن يقل منهم إني
إله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله أعلم وحديث مسلم بعثت إلى الخلق كافة
**فإن قيل** ما معنى قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ومن جملتهم
المعاندون والضالون **فالجواب** ما قاله الزمخشري على وجه المثال
أنه تعالى فجر عينا غديقة فيسقي الناس مواشيهم وزروعهم بمائها فيفلحون
ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعون فالعين في نفسها نعمة من الله ورحمة
للفريقين لكن الكسلان جعلها محنة على نفسه حيث حرمها ولم ينفعها هذا
وفي شرح العقائد أن الاستدلال بقوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم
ولا فخر ضعيف لأنه لا يدل على كونه أفضل من آدم بل من أولاده وفيه أن من
أولاده ما هو أفضل منه كإبراهيم بالإجماع فيكون نبينا أفضل منه بلا نزاع مع
أنه قد يراد بولد آدم الجنس الإنساني كما ورد يا ابن آدم إنك [illegible] وورد في
الحديث القدسي **وقد جاء** في أول حديث الشفاعة أنا سيد الناس يوم
القيامة كما ذكره القونوي ثم قال بل الأولى أن يستدل بقوله تعالى كنتم خير أمة
أخرجت للناس ولا يخفى عموم نوع هذا الاستدلال السنة إلا ما قد منه من
الأقوال ثم بيانه أنه لما كانت أمته خير الأمم كان هو خير الأنبياء كما أشار إليه
صاحب البردة إلا أنه عكس القضية في محصول الترتيب حيث قال
لما دعا الله داعينا لطاعته • بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

دعوتي

Copyright © King Saud University